الوظيفة القيمية للجامعة في تحقيق أبعاد الوحدة الوطنية

د. محمد يعيش و د. بوبكر حميدي ، جامعة المسيلة.

الملخص :

تعتبر الحواضر العلمية مراكز إشعاع فكري ومعرفي منذ القدم، وهي التي تصنع التحولات الاجتماعية والفكرية والسياسية في المجتمعات، ونعتقد أن تحقيق هذه الأهداف منوط بالتماسك الاجتماعي الواسع والوحدة الوطنية لضمان الاستقرار. وبالتالي فالجامعة اليوم باعتبارها تضم النخبة المثقفة من طلبة وأساتذة أن تؤدي الدور المحوري الذي تتعلق به كل مظاهر التطور والتقدم والرفاهية ألا وهو الوحدة الوطنية . ولمعالجة موضوع: مساهمة الجامعة في تحقيق الوحدة الوطنية يتطلب طرق النقاط التالية:

1. الدور المنوط بالجامعة في تحديد المفاهيم الوطنية في الأوساط الجامعية

2 . مساهمة الجامعة في صناعة المعارف التي تكرس الوحدة الوطنية .

3 . مساهمة الجامعة في صناعة النخب التي تدرك الفرص والتهديدات .

4 . مساهمة الجامعة في صناعة التوجهات الفكرية بأبعاد وطنية .

5 . مساهمة الجامعة في تسخير أكبر فئة شبانية واعية لصالح القيم الوطنية.

6 . مساهمة الجامعة في تسخير الفضاءات المختلفة لصالح المحيط الاجتماعي .

7 . مساهمة الجامعة في تحديد معايير العلاقات الفردية والجماعية والدولية.

Abstract :

Les villes ou les cites a vocation scientifique sont souvent étaient des centres de rayonnement culturels et du savoir depuis longtemps, et qui influait sur les mutations socio- politiques et intellectuelles dans les sociétés, nous pensons que la réalisation de ces objectifs est chargé de la cohésion sociale de grande unité nationale afin de garantir la stabilité. L'université, aujourd'hui étant regroupent de l'élite cultivées, des étudiants et professeurs, a un rôle central a jouer par lequel s'appui tous les aspects de développement et de progrès et de prospérité, à savoir l'unité nationale. Pour répondre à cette problématique : nous voulons par cette contribution traiter les axes suivants :

1 – le Rôle de l'Université à définir les conceptions nationales dans les milieux universitaires

2. Contribution de l'Université dans l'industrie des connaissances qui consacre l'unité nationale.

3.La contribution de l'Université dans la formation d'une élites consciente des menaces probables .

4.La contribution de l'Université dans l'industrie des orientations intellectuelle a dimension nationale.

5. Contribution de l'université à exploiter la plus grande catégorie estudiantine en faveur des valeurs nationales.

6. Contribution de la L'université à exploiter les différentes espaces en faveur de l'environnement social.

7. Contribution de la l'université à fixer des normes de relations individuelles et collectives et internationales.

مقدمة :

كانت المؤسسات العلمية تؤدي دورا علميا وثقافيا في النمط التقليدي القديم، ولكن مع تطور العلم والمعرفة والتقنية وتقارب الأبعاد الجغرافية وتداخل المصالح بين الدول المختلفة والأفكار العابرة للحدود ، أصبح للمؤسسات العلمية أو الجامعات دورا مهما يجب أن تتكفل به وخاصة في مجال العلوم الإنسانية في ظل عولمة الأفكار وهشاشة الحدود القطرية فكريا والتداعيات المترتبة عنها .

ونعتقد أنه من الأدوار المهمة المنوطة بالجامعة اليوم هو تحقيق الأبعاد الوطنية معرفيا وثقافيا وفكريا انطلاقا من الرسالة التي وضعت لها إلى جعل الجامعة في خدمة المجتمع . ولذلك فمن الطبيعي أن تحدد المفاهيم المتعلقة بالوطنية بشكل واضح لدى المنظومة الجامعية ، وتكون محل الأسئلة التالية : ما هي الأولويات المضمنة في رسالة الجامعة ؟ وما هي القيم المستهدفة منها ؟ وما مدى مساهمة الجامعة في تحقيق الأمن الفكري الوطني ؟ وما التحديات التي تواجه الجامعة لتحقيق الوحدة الوطنية بأبعادها الوجدانية والمعرفية والسلوكية انطلاقا من المفاهيم المقدمة ؟

أولا : مفهوم الوحدة الوطنية :

تعرف الموسوعة العربية العالمية الوحدة الوطنية بأنها " تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن.ويوحي هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة .[1]

كما تعرف الوحدة الوطنية بأنها : الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعاً عنهما .

ويمكن تعريف مفهوم الوحدة الوطنية بأنها : الوحدة الشعورية والوجدانية التي تجمع بين أبناء الوطن الواحد، وتنبني عليها قناعات وسلوكات عملية إيجابية نحوه مهما اختلفت إيديولوجياتهم وتوجهاتهم الفكرية ومذاهبهم الدينية وأعراقهم ومناطقهم ولهجاتهم ، وتتجسد هذه الوحدة كلما كان أكبر عدد من هذه الروابط قائما مع القناعة والعمل لها ميدانيا.

إن الوحدة الوطنية ليست تعريفاً بالهوية في البطاقة الشخصية، وإنما هي الشعور بالانتماء الصادق لهذا البلد، من أجل رفعته، واستقراره، وأمنه، فهذا هو المفهوم الذي يجب غرسه في نفس كل مواطن على أرض هذا الوطن .

وقد شهدت العقود الأخيرة من القرن الماضي أحداثاً متلاحقة ، وتطورات سريعة جعلت عملية التغيير أمراً حتمياً في معظم دول العالم، مما جعل الاهتمام بتعزيز الوحدة الوطنية أمرًا في غاية الأهمية في عصر اتسم بالتغير، وقد استحوذ هذا الأمر على عناية المفكرين والعاملين في الحقل التربوي، وخاصة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الذي اتسم باختلاف القيم ، وقواعد السلوك ، وتنامي **العنف** ، وتفكك العلاقات ، وتشابك المصالح.

وحتى تكون الوحدة الوطنية مبنية على وعي ، لابد أن تتم بتربية مقصودة تشرف عليها الدولة، يتم من خلالها تعريف الطالب المواطن بالعديد من مفاهيم الوحدة الوطنية وخصائصها، مثل: مفهوم الوطن، والحكومة، والنظام السياسي، والمجتمع، والشورى، والمسؤولية الاجتماعية وصورها، والقانون، والحقوق والواجبات، وغيرها من مفاهيم الوحدة الوطنية ، وأسسها.

ثانيا : رسالة الجامعة والوطنية

إذا كنا بصدد الدور المنوط بالجامعة في تحقيق أبعاد الوحدة الوطنية ، فإنها لم تعد تأخذ المفهوم الكلاسيكي المتعلق بتلقين الاختصاص ومنح الشهادات ، بل انتقلت إلى منظمة لها القدرة على التكيف والتغير المستمر لأن جميع أعضائها يقومون بدور فاعل في تحديد وحل القضايا المختلفة ، وتقديم المعرفة والثقافة وتشجع على التحول من خلال عملية التعلم ، ويعمل المنتسبون إليها إلى زيادة قدراتهم للوصول إلى النتائج المرغوب تحقيقها في أرض الواقع[2] من خلال رسالتها .

إنه من الضروري أن تكون للجامعة **رؤية ورسالة وقيم** تضعها محل التخطيط والتنفيذ وتقييم المخرجات وهو ديدن كل الجامعات التي تؤدي رسالة ووظيفة وطنية ، ونعتقد أن قضية المواطنة تأتي بالتأمين الفكري الذي يفسح الحوار ليسد الطريق على دعاة الرأي الواحد ليفرضوا الرؤية الواحدة ولو بالعنف .وهذه المهمة هي من أولوية الأولويات التي تكون مضمنة في رسالة الجامعة .

ولهذا فمن النماذج التي يمكن أن تكون **كرؤية** في الجامعة تتضمن بعد الوحدة الوطنية:

. أن تكون الجامعة رائدة في خدمة المجتمع والوطن من خلال البرامج العلمية والبحثية.

. التميز في التعليم والبحث العلمي المتصل بقضايا المجتمع والهوية .

. تأهيل الطاقات البشرية التي تساهم في حل المشكلات الاجتماعية والسياسية.

. تعمل الجامعة في إطار السياسة العامة للدولة وتحقيق النهضة الفكرية الشاملة .

. تأكيد هوية الأمة وتأصيلها من خلال المناهج التي تقرها الجامعة وتطبقها .

. أجراء البحوث النظرية والتطبيقية المرتبطة بواقع الوطن بهدف التجديد والاتقاء .

ومن النماذج التي يمكن أن تحملها كلية من الكليات وخاصة كليات الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والعلوم السياسية والحقوق وعلم الاجتماع **الرسالة التالية:**

توفير أفضل الفرص التعليمية للطلاب وتزويدهم بالمعارف والمهارات اللازمة بالإضافة إلى القيم والسلوكيات الضرورية لتخريج طلاب معتزين بهويتهم الإسلامية والوطنية ولهم القدرة على التجديد والابتكار ومواصلة البحث العلمي بما يسهم في تنمية المجتمع وتلبية الاحتياجات الوطنية المختلفة وذلك من خلال برامج دراسية متطورة وشراكات علمية واجتماعية ملائمة. بما يسهم في تنمية المجتمع ووحدته .

ثالثا :الجامعة وخدمة المجتمع:

للجامعة ثلاث وظائف رئيسية كبرى : هي :التدريس، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع ، ونعتقد أنه في ظل التغيرات الراهنة والعولمة التي تفرضها التقنية فإن المخرجات التي يجب أن تكون الجامعة منوطة بها هي أن تجعل خدمة المجتمع هي الوظيفة الأولى . وتعد الوحدة الوطنية خدمة أولية باعتبار أن باقي الأشياء تترتب عنها، فحالة التمزق والصراع تأتي بالسلب على كل إنجاز ينتج عن الجامعة. ولهذا فكل المحتويات المعرفية والنشاطات الجامعية وتوجيه البحوث المنجزة وإدارة الحوار تكون

خادمة للهدف الأولي الذي بدونه تنهار وظيفة الجامعة في خدمة المجتمع [3]. ولذلك قيل: **إذا أردت أن تبني لسنة ابن مصنعا وإذا أردت أن تبني للحياة فابن جامعة.**

فدور الجامعة لا ينحصر في نقل المعرفة المناسبة والتي تساعد الإنسان على كسب عيشه أو تكوين محامي أو مهندس ماهر بل خلق محامي قادر وإنسان مثقف من خلال الرؤية الاجتماعية الواسعة. وإذا فقدت الجامعة قدرتها على التنافس وقيادة التغيير الاجتماعي والتنوع فإنها تحمل بذور دمارها.لأن مسألة الارتباط والتفاعل بين الجامعة والمجتمع أصبحت أحد المؤشرات الأساسية التي تعبر عن تخلف أو تقدم المجتمع وهذا التفاعل يعبر عنه بمجتمع المعرفة، فلم تعد الجامعة مؤسسة بحث وتأطير فحسب ولكن حلقة مهمة ومحورية في عملية التنمية المستدامة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ولا يكون ذلك إلا من خلال تطوير العنصر البشري .[4]

ومن هذا المنطلق تحظى مؤسسات التعليم العالي باهتمام من قبل الدول نظرا للدور الرائد الذي تقوم به مباشرة أو غير مباشر ، ولكن عملية الإصلاح والتطوير يجب أن تواكب التحولات الداخلية والخارجية والارتقاء بالجامعة من مؤسسة علمية مخرجاتها مجموعة من الأرقام إلى" **منظمة متعلمة** " توفر التعلم المستمر ، وتحقيق الأهداف الاجتماعية ، وتشجيع البحث والحوار والمشاركة والإبداع والتفاعل مع البيئة ومن خلال ذلك تساهم في التنمية الشاملة ، وتحقيق التعايش مع الآخرين وهو أهم هدف لبناء البعد الوطني. [5]

إنه من البديهي أن يكون للجامعة دور في تحقيق الوحدة الوطنية من خلال التعريف بتاريخ البلاد والأمم، ودراسة النظام السياسي، والشعوب والدول، وتعريف الأفراد بحقوق وطنهم وحقوقهم، وهو ما يمكن أن يحدث نوعاً من الوعي لدى أفراد الشعب، بأنهم ينتمون لدولة واحدة، تتخطى الجماعات الصغيرة، كالعائلة والقبيلة أو القرية، ووسيلة هامة تساعد على إحساس مشترك بالوحدة الوطنية، وأن يحل الولاء للدولة محل الولاء للمنطقة. وبالتالي تغرس في نفوس طلابها روح الحوار والمناقشة والاختلاف في الرأي، وهذا سيعودهم على المناقشة لأمورهم الهامة، وسيطور الإحساس بالتسامح إزاء الآخرين المخالفين لهم، ، كما أن الثقافة الواحدة بما تشمله من أدب وعلم وتربية ؛ تعبر عن الجانب المادي والروحي في المجتمع، على اعتبار أن الحياة الاقتصادية، والاجتماعية للأفراد تتأثر بمعتقداتهم الجماعية وأسلوبهم ووسيلتهم في

تنظيم سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وفنونهم، كما يكون تناقل الثقافة من جيل لآخر، وتأثر الأجيال بها من خلال اكتساب الفرد للخصائص الثقافية لجماعة أخرى، بالاتصال والتفاعل من خلال طلبة الجامعة ، وهذا سيجعلها مصدر قوة دافعة لإحداث التماسك والترابط داخل الجماعة، وقياداتها الذين يتصرفون وفق ثقافتهم الخاصة، كما تؤثر الثقافة في سلوك الفرد وقيمة السياسية [6] ولها دور في تحقيق التناسق والانسجام في أداء مختلف المؤسسات والتنظيمات المشرفة على النظام السياسي، وعلى إستراتيجيته في تحقيق الوحدة الوطنية. كما أن تعميم اللغة في مختلف التخصصات الجامعية يدفع نحو وحدة التفكير ورمزية الوحدة الوطنية. فاللغة لها دور مهم لتحقيق الوحدة الوطنية بين أفراد الشعب، لأنها تقاربهم في الفكر وتجعلهم يتماثلون ويتعاطفون أكثر من سواهم ممن يتكلم لغات أخرى وتصبح هذه اللغة سمة مميزة لهم من خلال جعلهم متماثلي التفكير والشعور بالانتماء داخل جماعة واحدة؛ لأن اللغة هي واسطة التفاهم ووسيلة التفكير ونقل الأفكار والمكتسبات من السلف إلى الخلف، وهي العامل الأول في تنمية وتقوية الروابط العاطفية والفكرية بين الفرد والجماعة، فهي تزيد مجالات النشاط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وبذلك تساهم في فعالية الوحدة الوطنية.

ومن هذا المنطلق تساعد الجامعة في أغلب الأحيان على الاستقرار السياسي وتقلل من حدة الاضطرابات والصراعات وذلك من خلال دوائر التعارف والملتقيات، كما تسعى الجامعة بصورة فاعلة إلى الحد من النزاعات المحلية وذلك بنشر ثقافة الحوار والسلام والقضاء على العادات والتقاليد الضارة بالمجتمع، والعمل على تنمية الوعي السياسي للمواطنين وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم. فالجامعة قائدة التغيير الاجتماعي وتقوم بمواجهة التغيُرات الاجتماعية والثقافية الخارجية عن طريق التلاحم والتواصل مع المجتمع .إنه يمكن لنا أن نقول بأنها تقضي على الأمية الحضارية، وتعزز الهوية الثقافية الموحدة على الصعيد الوطني والقومي والإسهام في التنمية الاجتماعية الثقافية.

رابعا : دور الجامعة في تحديد أبعاد الوحدة الوطنية

للوحدة الوطنية أبعاد متعددة، تختلف من بلد لآخر ولكن هناك حد مشترك بين الجميع.وباعتبار الجامعة الفضاء العلمي الذي يغرس المعرفة ويناقش القضايا الاجتماعية والسياسية فإنه منوط بتحديد الأبعاد التي تساهم في بلورة الفكر الوطني

المتجانس. ومن ذلك :

1/ البعد المعرفي : لأن المعرفة هي العنصر الجوهري والأساسي في بناء الإنسان بالتدرج منذ مراحله الأولى ولكن في الجامعة يتطلع الفرد الذي يتحرك فيها ، أو الذي يتأثر بمحيطها إلى المستوى النمطي المثالي الذي يعزز معارفه. بل على الجامعة أن تنتقل إلى حالة من التأثير المعرفي المتدفق على المجتمع لتوجيه نوعية المعرفة وتحديد المفاهيم. ومن ثم تتراكم التجربة المعرفية لتحصل القناعات المتدرجة بعد تخمر وحوار داخلي ومع الآخرين . وبالتالي تكون الجامعة قد ساهمت في صياغة نوع معين من المواطنة التي تريدها المنظومة المجتمعية بكل أطيافها في ظل الخصوصيات الثقافية للمجتمع.فالبعد المعرفي هو البنية التحتية للإطلاع على أنماط الثقافات وأبعاد المواطنة وبناء المهارات ومدخل نحو القدرة على التفكير

2/ البعد المهاري : وهو الخطوة الثانية في بناء الفرد . فالنشاط الجامعي الداخلي أو من خلال المعارف المنبثقة عنها وانفتاحها على العالم الخارجي فإنها تنمي المهارات الفكرية، مثل: التفكير الناقد، والتحليل، وحل المشكلات... وغيرها، حيث إن المواطن الذي يتمتع بهذه المهارات يستطيع تمييز الأمور ويكون أكثر عقلانية، ومنطقية فيما يقول، ويفعل. ويعرف كينونته وانتماءاته .

3/البعد الاجتماعي :في الغالب أن الجامعة تضم أطياف اجتماعية مختلفة عرقيا ومن مختلف الجهات ومستويات معيشية متباينة ، وهذه الحالة في حد ذاتها ترتقي بالفرد إلى التعايش مع الآخر رغم التمايز في بعض النواحي ، وقد تبدو حالة عابرة ولكنها حالة نفسية لها انعكاساتها في السلوك الاجتماعي ، وفي قبول الآخر على الاشتراك معه في مساحة معينة وتقاسم فضاءات الثقافة والجغرافية .

4/ البعد الديني أو القيمي: فالمعارف الكبيرة التي تشع بها الجامعة على طلابها والمجتمع بوسائلها المختلفة ومن بينها المعارف الدينية، أو منظومة القيم والمفاهيم المشتركة التي تنطلق أساسا من تعاليم الشريعة: العدالة، والمساواة، والتسامح، والحرية، والشورى، والديمقراطية. الخيرية ، اختلاف الألسن والألوان ، كلها تعزز التشبع بمنظومة القيم المعيارية المرجعية التي ترسخ احترام الأخر في الدين والجوار والوطن والتواضع أمام المخالف وصيانة وضمان الحقوق والواجبات لجميع بني وطنه. ولذلك من الواجب أن يتمثل الفرد ذلك الموقف النبوي من الولاء الوطني والذي عكسه الرسول صلى الله

عليه وسلم في موقفه يوم اضطر للهجرة إلى المدينة المنورة فقال مُخاطباً موطنه الأول مكة: " **لولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك** " ، ومن هذا المنطلق يجب أن نعمل على تغليب الولاء والانتماء الوطني في إطار المفهوم الشرعي على كل صنوف الانتماءات والو لاءات الضيقة فلا يجب أن يعلو الانتماء الحزبي أو الأسري أو القبلي على الانتماء الوطني بالمطلق.

وفي هذا المقام فالمسألة مطروحة من الوجهة الدينية الأخلاقية لحل معضلة سياسية وهي الإيمان بالمواطنة والعمل لها ، وهي مطروحة بحدة في عالمنا العربي المعاصر وما طرأ عليه من تغيرات ، ولذلك فكل من : مالك بن نبي وعثمان أمين يضعون التصور الأخلاقي في المقدمة لعلاج وإيجاد الحلول لهذه القضية ، ويمكن أن تقوم المؤسسات العلمية بهذا الدور نيابة عن العائلة في عالمنا المعاصر.[7]

5/ **البعد المكاني :** أن تكون الجامعة حاملة للبعد المكاني أو الجغرافي الوطني العام في رؤيتها ورسالتها والقيم التي تهدف الجامعة إلى تحقيقها ، أو توزيع التخصصات محليا وجهويا أو محتوي المعارف التي تدرس سواء في العلوم الإنسانية أوالتقنية بحيث تكون قريبة من المجتمع وفي خدمته بخصوصياته المكانية الاجتماعية .

6/ **البعد الانتمائي الوطني** : وهي الحلقة الأخيرة وتحصيلا للمحطات السابقة فعن طريقها تتحقق ثقافة الانتماء للمجتمع والوطن وجدانيا ومعرفيا في كنف النقاش والحوار والبناء للقناعات والتفاعل مع قضايا الوطن الثقافية والسياسية والاقتصادية.

خامسا : الأهداف الجامعية والوحدة الوطنية

لكي تتمكن الجامعات العربية مواكبة التحديات والعولمة عليها إن تخوض عملية تغيير شامل وجدري يتعدى الشكل إلى المضمون .لأن ما يميز الجامعات هو مواصفات خريجيها لهذا فإن الأهداف الرئيسية التي وضعتها كبريات الجامعات العالمية لتصميم برامجها الأكاديمية تعمل جميعها على خلق شخصية معاصرة قادرة على التعامل مع المتغيرات . فالجامعات التي لا تضع أهدافا خاصة فيما يتعلق بقضايا المجتمع تبقى معزولة عن محيطها مما يوقعها في الجمود والتخلف عن مسايرة التطور الاجتماعي الحاصل في الجوانب العلمية والتقنية [8].

فنجد معظم الجامعات تحدد أهدافها بناء على احتياجاتها المجتمعية فمثلا جامعة أكسفورد: تشير لجنة أكسفورد البريطانية للامتياز أن هناك خمسة أهداف رئيسة من بينها :

-العمل على إيجاد الكثير من الإسهامات **للمجتمع أو الإقليم**، أو المنطقة، أو حتى في الخارج من خلال نتائج أبحاثهم ومهاراتهم في بحوث تخرجهم

أما جامعة جامعة كاليفورنيا :فإنها توجه قيادة التعليم من خلال التوسع في إدخال برامج توأمة مع مؤسسات أخرى في برامج الدراسات العليا، وخلق برامج تربوية متاحة تعزز مهنية التعليم ،و بناء معاهد للقيادة التربوية.[9]

وتوصل الباحث الجزائري إلى أن المشكلة الحقيقية تكمن في استنساخ النمط الغربي في إنشاء الجامعات العربية من حيث تقليد الجامعات الغربية العريقة التي كانت مهمتها التنظير والبحث والانشغال بقضايا الفكر الكبرى . ولكنها تختلف عنها في سياقها الاجتماعي والثقافي والسياسي ، مما أدى إلى تدني مستوى الكفاءة ، والآداء ، بل إلى نوع من الاعتماد الثقافي لمصدر هذه النماذج أحيانا . وتوصل إلى أن الاعتماد على نظريات ومناهج غربية جاهزة لى عدم بذل الجهد في عملية تكوين " فكري فلسفي تنظيري يستوعب الواقع العربي وخصائصه ومميزاته وآماله المستقبلية ، ويقيم على أساسه بنية جامعية تتكامل فيها العوامل الفلسفية والثقافية والاجتماعية مع العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية فنتجت جامعات نمطية في تنظيماتها ، بيروقراطية في إداراتها تقليدية في دراستها، هابطة في كفاءاتها ، مترديه في أبحاثها، مفلسة في خدماتها، رديئة في إنتاجياتها "[10] .

سادسا : دور الجامعات في نشر ثقافة الوحدة والتسامح

من المعروف أن الأستاذ الجامعي في أي بلد في العالم يمثل الموجه والمرشد، ومن الطبيعي أن ثقافة الوحدة أو الثقافة الوطنية عموماً تكون هي منطلق تفكيره داخل الجامعة لأنها بوتقة المعرفة ونسيج من العلاقات الاجتماعية بين النخب. فالأستاذ الجامعي هو أب وأخ ومرشد ووطني وعنصر متميز في المجتمع على أساس أنه يهتم بتكريس كل ما هو صحيح ووطني، ومن دعاة ثقافة الوحدة الوطنية. ولذلك يجب أن ينطلق الأستاذ الجامعي من ثقافة الوحدة والتماسك وإلا اعتبر صاحب نظرة قصيرة.

فالأستاذ الجامعي يتعامل مع شريحة مهمة في مرحلة عُمرية تمثل مرحلة النضج والفهم وتكوين المفاهيم وتأصيل الثقافة لدى طالب الجامعة الذي يمثل اليوم كل شرائح المجتمع ومناطق الوطن وسيكون أثره على المستقبل أثراً كبيراً، والأثر الاجتماعي والسياسي والجغرافي إنما هو انعكاس للتصورات والقناعات والثقافات التي تُمثل الجامعة مفصلاً محوريا في تكوينها، ولذلك فإن دور الأستاذ الجامعي يكون كبيراً ومحورياً؛ ولذلك ينبغي تفعيل دوره في تعزيز مفاهيم وقناعات صحيحة توضح أهمية الوحدة في نشر المحبة وخدمة الدين وقوة المجتمع والدولة.

في ظل التحولات التقنية وسهولة انتقال المعلومات اليوم حيث تعصف بالعالم الذي نحن جزء منه سلسلة من العواصف التي تستهدف اقتلاع جذور المجتمعات وزعزعة أمنها واستقرارها وثقتها بنفسها وانتماءاتها الوطنية والقومية والدينية. ولذلك أصبحنا في أمس الحاجة إلى تفعيل المؤسسات الجامعية لنشر الثقافة التي تتناسب وبناه المفاهيم التي تكرس الثقافة السلمية والتسامح والقبول بالآخر كشريك في الوطن .لكن ما هي الآليات التي يمكن للجامعة أن تؤديها في هذا المضمار.؟ والطريقة التي تساهم بها في إرساء ثقافة الوحدة والتسامح والقبول بالآخر مهما اختلفت الرؤى ومكونات المجتمع.

1/ العمل على بناء منظومة ثقافية متكاملة يساهم فيها الأستاذ الجامعي وكل الأطراف الشريكة مع الجامعة من أجل ترسيخ مفهوم الولاء الوطني عموماً، ثم يأتي دور الفئة الثانية من مثقفي المجتمع وهم الأساتذة والمهندسون والأطباء والمعلمون وكل من حصل على مستوى متوسط أو عال من التعليم فيكون نشر ثقافة الوحدة ضمن مسؤولياته. وقلنا أن الأستاذ الجامعي يأتي في المقدمة من حيث المسؤولية في أداء هذه المهمة ويمكن أن يتحقق هذا الأمر من خلال مستويين :

المستوى الأول: بحكم أن الأستاذ يمثل الواجهة العلمية فهو مرجعية ثقافية . فدوره يكبر أمام النخبة ، وهو محاط بمجموعة من العوامل التي تجعله يؤدي هذه الوظيفة الوحدوية ، وأحيانا عليه أن يواجه التحديات التي تمس بحقوقه ، وأن لا ينتظر المردودية من المجتمع ، فالقناعات كمنطلق ابتدائي ببذل الجهد لتكوين الوعي السليم عند المجتمع عامة والنخبة خاصة واضعا في حسبانه تضحيات وفعل ورد فعل لكنه يضع نصب عينيه إيصال ثقافة معرفة الحقوق ،والواجبات ، والولاء ،والانتماء

والماضي والحاضر والمستقبل .

المستوى الثاني: ويعكسه الأستاذ الجامعي في محاضراته وكتاباته، في لقاءاته وجلساته من خلال تَمَثُّله القدوة في بذل ما يمكن أن يخدم قضية وطنية كالوحدة، وباعتقادي أن المناسبات فرصة لتجديد الخطاب الثقافي فيما يخص الوحدة وإزالة الشوائب والأخطاء العالقة فالسلوك الذي ينتهجه المثقف وخصوصاً الأستاذ الجامعي يجب أن يمثل قدوة ونموذجاً يجسد الوحدة الوطنية الكاملة الاجتماعية بمحاربة القبَلية والطائفية والقروية والمناطقية وكل ما من شأنه أن يشق عصا الوحدة الوطنية، وأن لا يكون أول من يرفع شعارات الولاءات الضيقة، وهكذا يصبح دور الأستاذ الجامعي ذا مستويين نظري وعملي، وبهذا الدور يمكن إزالة الشقوق الفكرية التي تظهر في كتابات وتصريحات وندوات من يضرون بالوحدة، بالإضافة إلى ذلك فيجب العمل على إزالة الشوائب التي علقت بالوحدة من خلال قيام الأستاذ الجامعي بتبصير المجتمع وقياداته الاجتماعية والسياسية بما ينبغي أن يكون عليه المجتمع في سبيل ترسيخ دعائم الوحدة.

سابعا : الجامعة وتعزيز الأمن الفكري الوطني

يقصد بالأمن الفكري تحصين فكر الفرد وعقله من الانزلاق نحو الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال عند التعامل مع مختلف أمور الحياة، ولاسيما القضايا الفكرية التي تشكل مصدر تهديد للأمن الفكري، لذلك كان موضوع الأمن الفكري أحد المحاور الرئيسة التي تعالج من قبل الكتاب والمفكرين الذين تعج بهم الجامعة ولأنها الفضاء المناسب للنقاش والحوار الفكري فهي تعزز الأمن الفكري الوطني من خلال زيادة الوعي لدى الطلاب بالعقيدة الإسلامية ومقاصدها الشرعية، والعمل على ترسيخ مبدأ الوسطية والاعتدال في المجتمع، واستبدال مبدأ التلقين بمبدأ الحوار وترسيخه ضمن ثقافة المجتمع.

كما أن المعرفة الموسعة والحوار المستمر من شأنه يحد من ظاهرة الغلو والتطرف في المجتمع، والعمل على تحديد المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بالغلو، والعمل على تنمية قيم الانتماء والمواطنة لدى أفراد المجتمع كافة، والتوازن في الطرح الإصلاحي لقضايا الدين والوطن وفق منهجية علمية، ورفض الفتوى الفردية في المسائل العامة التي تمس مصالح الأمة ومستقبلها، والتحصين والتصدي لما ينشر عبر

وسائل الإعلام من انحرافات فكرية وعقدية، إضافة إلى الأجيال المتخرجة من الجامعة والتي تتغذى بهذا المنهج من دعاة وأئمة مؤهلين ، ورجال إعلام ، ومدرسين وعاملين في مؤسسات من شأنها أن تعزز الأمن الفكري، وتحصين المجتمع ضد التأثر بالثقافات السلبية الوافدة، وتفعيل دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري لدى أبنائها.

ولهذا فالجامعة تقوم بدور المدافع ضد الشغب الفكري إن صح التعبير، وعليها امتلاك أدوات المعرفة الواسعة والمستجدة والحجج القوية.لأن التصرفات نابعة عن قناعات فكرية ولا يمكن أن تدفع أو تحمل الغير على تركها إلا بالفكرة المقابلة ذات الحجية القوية لأن المسألة فكرية بامتياز ولا يمكن حل مثل هذه القضايا إلا في سوق رائجة بعالم الأفكار والجامعة أحسن بيئة لذلك ، وبذلك يرتفع المنسوب الفكري في البيئة المحيطة وتصبح كل جهة مدعوة لتطوير أدائها الفكري والبقاء للأفكار الصالحة التي يمكن أن تصمد وتعم المجتمع وبذلك تتوسع دائرة الأمن الفكري الوطني .

ثامنا : وسائل تحقيق الوحدة الوطنية

يمكن تحقيق البعد الوطني برؤية علمية من خلال الوظائف الثلاث الرئيسة للجامعة (التدريس، خدمة المجتمع، والبحث العلمي)، وفق رؤية محددة تعتمد على مجموعة من العناصر، من أهمها تضمين المقررات الدراسية الجامعية بمواضيع تسهم في تعزيز الوحدة. واقتراح أن يوجه طلاب الدراسات العليا لتسجيل رسائلهم العلمية في مواضيع تخدم الوحدة الوطنية[11]. ويعد دور الجامعة في نشر ثقافة الوحدة والتسامح كبيرا وهاما وبعيداً عن العموميات ويمكن تجسيده من خلال:

. اللقاءات والمنتديات الثقافية، وإدخال البرامج الثقافية، والترفيهية كالرحلات والبرامج الوظيفية التي تعزز الشعور بالروح الجماعية وتنمي ثقافة الوحدة والتسامح.

. كما أن الجامعة من خلال مقرراتها التعليمية ووسائل إعلامها تستطيع أن تبني وعياً وطنياً يحتضن الثقافة الوحدوية الخالصة من خلال مقررات التاريخ والعلوم الإنسانية التي يجب أن توجه في إطار التوعية الوطنية باستلهام الدروس من أحوال الأمم الممزقة، وتفصيل الأسس الدينية والحضارية التي تقوم عليها الوحدة التي في ظلها تتجسد معاني الولاء الوطني والتسامح الاجتماعي والفكري مما يتيح الفرصة أمام

تحقيق البناء المتكامل للبلد العزيز بأرضه وإنسانه ليأخذ دوره الكبير ومكانته التي يستحقها بين شعوب الأرض.

. تنفيذ المزيد من الجهود الحكومية لبلورة السياسات الثقافية على مستوى الممارسات.

. وضع إستراتيجية إعلامية في مجال الحفاظ على الثقافة الوطنية وبما يضمن الترويج لها بين الثقافات الأخرى.

. رفع وتيرة تفعيل المخيمات والمراكز الصيفية وحضور الجامعة بالندوات والفعاليات الثقافية الوطنية.

. بث المزيد من برامج التوعية بالممارسات الديمقراطية لتعويد الشباب على الحوار وقبول الرأي الآخر.

. زيادة الاهتمام بالمكتبات الثقافية ودعمها بالكتب التي تعزز الوسطية والاعتدال وثقافة الحوار.

الاستماع للشباب وتفهم مشاكلهم وتقدير آرائهم.

. تضمين المناهج الدراسية بعض قضايا التفكير الوسطي والفكر النقدي والتحليلي.

. توسيع مفهوم الأمن ليشمل الأمن الثقافي ويأخذ الطابع الجماعي الذي يقوم على مبدأ الشراكة بين الأجهزة الرسمية وغير الرسمية.

. تفعيل الخطاب الديني بما يجعله يعطي الأولوية للثقافة الوسطية لنتمكن من تعزيز ثقافة الوحدة الوطنية التي تحمي الشباب من الاختراق الثقافي الذي يعد سلاحاً فتاكاً لتدمير مستقبل البلدان.[12]

.تفعيل الحياة الثقافية الجامعية لأن الثقافة هي بمجموعة السمات الروحية والمادية التي تميز جماعة أو مجتمعاً معيناً، وما يترتب على ذلك من أنماط الحياة الاجتماعية والأنساق القيمية والتراث الحضاري والفنون الأدبية والشعبية، فالثقافة تسهم في صياغة نظام مجتمعي متجانس وتوجيهه الوجهة التنموية الفاعلة ومحاولة الرفع بالمستوى الفكري للمجتمع، بما يجسد الهوية الحضارية لذلك المجتمع. والحفاظ على الهوية الوطنية والثوابت الدينية، ودعم التماسك الاجتماعي، ومساعدة الفرد على إشباع حاجاته، والتفاعل الناجح مع المجتمع.

ولذلك؛ فإن الثقافة الوطنية تمثل الإطار المرجعي الذي يكرس قيم الولاء والانتماء للوطن وحبه والاعتزاز بتراثه والتضحية من أجله، بل إن الثقافة الوطنية هي التي تجسد مستوى الولاء الوطني وتحدد طبيعته ومدى فاعليته، ولاسيما عندما يواجه المجتمع بعض التحديات المصيرية.

تاسعا : الجامعة وتحديات الوحدة الوطنية

. وتواجه الثقافة الوطنية عدداً من التحديات الداخلية والخارجية كالجهل والتخلف وترسخ الأنماط الثقافية التقليدية الكابحة للبعد الوطني، غير أن أبرز وأخطر التحديات التي تواجهها الثقافة الوطنية في العصر الراهن تتمثل في تحدي العولمة والعولمة الثقافية على وجه التحديد بما لها من تأثيرات سلبية على الوحدة الوطنية.

. حدوث موجتان ثقافيتان تتمثلان بثقافة العولمة أو ثقافة الصورة الفضائية وثقافة الأصولية أو ثقافة التزمت الديني المذهبي ليشكلا نوعا من الحصار يزداد تفاقماً ليصل إلى تهميش الثقافة الوطنية الوسطية التي تشكل صمام أمان التوازن الفكري والتماسك الاجتماعي وتجسيد الوحدة الوطنية.

إضافة إلى تحديات أخرى منها :

. التحدي الأكاديمي:يتمثل في تقديم مادة علمية حديثة صادقة تواكب الانفجار المعرفي .

التحدي التعليمي: يتمثل في قدرة المؤسسة التعليمية على تقييم أدوارها وممارستها المختلفة حتى تستطيع مواكبة المستجدات.

. التحدي الاستراتيجي: يتمثل في تحديد أهداف المؤسسة الجامعية وغاياتها بشكل علمي واضح ودقيق قادر على تحديد البعد الوطني وتحقيقه.

. التحدي السياقي:ويتمثل في قدرة الجامعة على رؤية نفسها من خلال علاقاتها مع المجتمع والعالم الذي هي جزء منه.

. تحديات استخدام الوسائط الثقافية من انترنت وأقمار صناعية وحاسوب ونشر إلكتروني ومكتبة إلكترونية وكتاب وبريد إلكترونيين وضرورة استثمارها من قبل الأسرة الجامعية وتعميمها وتدريب الطلاب والباحثين على كيفية استثمارها لصالح العلم والمعرفة وتوثيق العلاقة بصورة أجدى بين الجامعة والمجتمع، وأن تتولى الجامعة وهى

تطمح إلى تحقيق نقله نوعية في رسالتها مواصلة القيام باستيعاب التطورات التكنولوجية والاتصالية.

الخاتمة

وفي الأخير إن قضية المواطنة هي قضية فكرية ثقافية ولا يمكن ترسيخها بشكل مستدام وإيجابي إلا من خلال الحواضر العلمية المتمثلة في المعاهد والجامعات باعتبارها الإطار العام للنخبة المفكرة والتي تتخرج على أيديها الألوف من الإطارات البشرية التي تنتشر في ربوع الوطن ، وبقدر الاستغلال الأمثل لهذا الفضاء المعرفي والثقافي تكون الصلة وثيقة بين الجامعة والمجتمع .وتكون الفعالية سريعة ومن ذلك التكثيف للفعاليات ولأنشطة والاحتفالات وعقد الدورات والندوات والمساهمة في مختلف المناسبات مساهمة فعالة وفتح الجامعة أمام المجتمع ومن خلال قنوات اتصال أكثر عمقاً واتساعاً وشمولية.

أن تكون الجامعة قادرة على القيام بدور بارز في مجال التأثير الايجابي على المجتمع ويتحقق ذلك عن طريق استيعاب حاجات المجتمع ولا يتأتى ذلك إلا من خلال وضوح الرؤية والرسالة والقيم التي تتبناها الجامعة وعليه تكون مركز إنتاج معرفي وفكري يتجاوب مع حاجيات المجتمع وفي مقدمتها قضية الهوية والوطنية .

توجيه البحث الجامعي من خلال طاقاته البشرية ومخابر ومراكز البحث ومشاريع البحث الوطنية لتناول مواضيع تعالج المواطنة والحقوق والواجبات وضروب الهوية وعناصرها حتى تكون محل النقاش والتداول بين الأسرة الجامعية والمجتمع وتصل إلى إنضاج الكثير من الأفكار. فضلا عن ربط الرسائل الجامعية بقضايا المجتمع والوطن والتحديات القائمة .

أن يعاد النظر في الوظائف التقليدية للجامعة وحملها على ربط الصلة أكثر بالمجتمع وهمومه، وأن معايير تقييم الجامعة له اعتبارات بما تقدمه من خدمة للوطن والمجتمع وأن المطلوب منها يتعدى المجال الداخلي وعملية التعلم فقط . بل هي مصدر التنوير وتحرير العقول وتوجيه الطاقات . وعلى المجتمع أن يتجاوب مع الجامعة في المشروعات التي تقدمها لأنها ذات فائدة لجميع أفراد المجتمع مما يؤدى إلى توثيق الصلة أكثر.

أن تكون الإستراتيجية الجامعية واضحة لدى الجميع وأهدافها واضحة ، وفق خطط محكمة وتوزيع للطاقات البشرية وخلق جسور متينة بين الجامعة والمجتمع وتوفير القاعدة المادية والمعنوية التي تؤهل الجامعة للقيام بهذه المهمة الصعبة

أن يكون الفضاء الجامعي منتجا للأفكار ومطورا للذهنيات وموسعا للمعرفة وتطورها ، فاسحا كل القضايا للنقاش حتى تستوعب الأفكار المتطرفة والغير صالحة والنزعات الجهوية وتقدم بدائل علمية وقواسم مشتركة تتبناها النخبة وتصدرها للقيادات الموجودة في المجتمع .

لابد أن يلتقي أصحاب الفكر والثقافة في رسم معالم الهوية والوطنية وأن تكون الجامعة خادمة للخطة الإستراتيجية، فتصير الجامعة بيت الخبرة التي تقدم المساعدة لصاحب القرار السياسي.

وأخيرا أن استشراف المستقبل الزاهر لا يكون إلا في كنف وطن موحد ، وهذا الأمر موقوف على صناعة ذهنية بشرية لها أمزجتها المختلفة في مختلف مناحي الحياة ضمن وعاء وطني مبني على المعارف والقناعات الصحيحة والعلمية ، وإدراك التغيرات الداخلية والخارجية وهذا الدور لا يمكن أن تؤديه جهة أحسن من الجامعة . وهو السبيل للعبور نحو آفاق جديدة ومواجهة التحديات القائمة

مراجـع البحث

1 . عادل عايض عوض المغذوي، **دور المناهج التعليمية في تعزيز الوحدة الوطنية** ، ورقة عمل قدمت لمؤتمر حول الوحدة الوطنية قيم وثوابت ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2013.

2 . بتقة ليلى ، "**الإصلاحات الجامعية بين النظرية وواقع الممارسة** " ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع 01 ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة .

3. عبد الناصر محمد رشاد عبد الناصر، **أداء الجامعات في خدمة المجتمع وعلاقته باستقلالها** :دراسة مقارنة في جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية والنرويج، دكتوراه الفلسفة في التربية، إشراف رضا أحمد إبراهيم، جامعة عين شمس، 1425 هـ – 2004 م.

4 . الطماوي سليمان محمد ، **الوحدة الوطنية**، : مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1974 .

5 . عبادة عبد اللطيف ، **العلاقة بين الأخلاق والسياسة في العالم العربي المعاصر** ، مجلة سيرتا ، جامعة قسنطينة ، عدد 10 ، 10 رمضان 1408 هـ ، أفريل 1988.

6 . بوضرسة زهير ، " **الجامعة ومتطلبات المجتمع** " ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع 39 ، جوان 2013 ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة أم البواقي ، الجزائر.

7 . الحربي يحيى ، **الوحدة الوطنية، " ثوابت وقيم** " ، الشروق ، العدد 653 بتاريخ 2013/09/17 .

8 . الرعدي فكري ، الجمهورية، العدد،16534 ، الجمعة 17 إبريل-نيسان 2015، اليمن.

.

الهوامش

1 . عادل عايض عوض المغذوي، دور المناهج التعليمية في تعزيز الوحدة الوطنية ، ورقة عمل قدمت لمؤتمر حول الوحدة الوطنية قيم وثوابت ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2013.

[2] . ليلى بتقة ، "الإصلاحات الجامعية بين النظرية وواقع الممارسة " ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع 01 ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، ص 71.

[3] . للمزيد أنظر: عبد الناصر محمد رشاد عبد الناصر، أداء الجامعات في خدمة المجتمع وعلاقته باستقلالها :دراسة مقارنة في جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية والنرويج، دكتوراه الفلسفة في التربية، إشراف رضا أحمد إبراهيم، جامعة عين شمس، 1425 هـ – 2004 م.

4 . بتقة ليلى ، مرجع سابق ، ص 69.

5 . نفسه ، ص 70.

[6] . سليمان محمد الطماوي، **الوحدة الوطنية**، : مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1974 ، ص 17

[7] . عبد اللطيف عبادة ، العلاقة بين الأخلاق والسياسة في العالم العربي المعاصر ، مجلة سيرتا ، جامعة قسنطينة ، عدد 10 ، 10 رمضان 1408 هـ ، أفريل 1988 ، ص 138 .

8 . زهير بوضرسة ، " الجامعة ومتطلبات المجتمع " ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع 39 ، جوان 2013 ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة أم البواقي ، الجزائر ، ص360 .

9 . نفسه ، ص362، 363.

10 . نفسه ، ص 365.

11 . يحيى الحرب ، الوحدة الوطنية، " ثوابت وقيم " ، الشروق ، العدد 653 بتاريخ 2013/09/17 ، ص 19

[12] . فكري الرعدي، الجمهورية، العدد،16534 ، الجمعة 17 إبريل-نيسان 2015، اليمن، ص 2.